مسارات الجدل والمعارضة في شعر محمد مهدي الجواهري

الأستاذ الدكتور صدام فهد الأسدي
كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى اله الكرام البررة ، وصحبه المنتجين الأخيار. وبعد ، يعدالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري من الشعراء العرب المعاصرين ، الذين سطع ألقهم في سماء الأدب العربي حتى لقبه البعض شاعر العرب الأكبر . فحظي نتاجه الأدبي وتحديدا الشعر منه ، بالعناية الفائقة من لدن الدارسين وجمع كبير من المثقفين . فصدرت الكتب والدراسات التي تناولت قصائد عديدة من نتاجه لماامتازت به من إبداع في تصوير المشاهد الفنية والحسية والجمالية للقصيدة العربية المعاصرة مجسدة للواقع الاجتماعي والسياسي والديني العراقي بكل مصداقية . فهي قد عبرت عن واقع الأمة ، وما تعانيه من تسلط ظالم ، وقهر وتأخر وفقر كان يعم ويلف الساحة العربية على وجه العموم .

ويهدف البحث إلى استكناه بعض الغموض الذي اعترى بعض أشعار الجواهري فكانت مثار جدل بين المثقفين ، والأدباء ، والأكاديميين المهتمين بأدب شاعرنا الكبير. ذلك الجدل الذي نبع من أسباب عدة ، منها ؛ الانعطافات التي حدثت في مسار حياة الشاعر ، مما أثرت في موضوعات شعره أولا ، كما أسهمت في صعوبة الفهم لبعض مفردات قاموسه الشعري ثانيا .

والدراسة منتظمة في مبحثين يسبقهما تمهيد ، وخاتمة في نهاية البحث . وقد أودعت التمهيد تعريفا لمفهوم الجدل عند أهل الكلام من الخطباء والفلاسفة ، أمثال أرسطو وابن رشد وأبو تمام . أما تعريف الجدل لغة واصطلاحا ، وبيان تأثير شاعرنا بـه فقد تضمنه المبحث الأول . أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه الباحثة تحليلا لقصائد الجدل عند ألجواهري ، ومتضمنا أراء النقاد واتجاهاتهم في الجدل .

المبحث الأول : مفهوم الجدل والمعارضة في أدب الجواهري

المطلب الأول : ملامح الجدل بين الفلسفة والأدب: نشأ الجدل الكلامي في مدرسة الخطابة التي أسسها أرسطو، بعدما درس العلاقة بينها وبين الخطابة .فقال كلمته المشهورة (وهي كلمة ترجمت ترجمات عدة ، عدها كثير من الباحثين أن أفضلها وأدقها دلالة تلك التي عبرعنها ابن رشد في تلخيصه خطابة أرسطو (بالتناسب)(١) .وبما أن للخطابة والجدل تعاطيا واحدا هو النظر في جميع الأشياء ، فأن صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل ، لأن غايتهما واحدة . واستعمالهما مشترك عند الجميع .(وإنما كان ذلك كذلك لأنها ليست واحدة منه علما من العلوم مفردا بذاته ولكن من جهة أن هذين ينظران في جميع الموجودات ، فقد توجد جميع العلوم مشاركة لهما بنحو ما) (٢) .ويذكر أرسطو إن الخطابة فرع من الجدل ، وأيضا فرع من علم الأخلاق ، يمكن أن يدعى بحق علم السياسة .(٣)ونجد أرسطو أيضا في مواضع أخرى يحدد معيارا مهما في نظره للعملية الجدلية ذات الطبيعة الخلافية إذ يقوم هذا المعيار على إن الجدير بالبحث هو ما أسند إلى سلطة المشهور.إذ إن المشهور أهم ما يميز الحجاج الجدلي في التصور الأرسطي (٤) .إن الحجاج الجدلي عند أرسطو يعني ، الأقاويل المشتركة عند جمهور الناس ، أو عند النخبة المثقفة منهم . وبما يسعون أحيانا إلى تجاوز ما بينهم من خلاف .(٥) ويعد الجدل عند أرسطو مبحثا فكريا ،وسمة مميزة للفلاسفة إذ إن المناقشات كانت تتخذ للتأكد من القضايا والفرضيات وغالبا ما تتخذ هذه

القضايا الجدلية بنية تساؤلية وليس هذا بغريب في فلسفة تعد التساؤل المحكم فيها أهم من الجواب .(٦)

إن لمقام الجدل أيضا دورفي اختيار أنواع الحجج ومراحل إيرادها ودرجات كثافتها وفي تحديد مدتها ، تبعا لطبائع وتخصصات المتجادلين ، من فلاسفة وأدباء وفنانين ومهندسين وأطباء ومواطنين عاديين . فالمذهب الكلامي هو أسلوب حجاجي يوظفه المتكلم لإقناع خصمه بالحجة والبرهان . يقول الشـــــاعر بشار:(٧)

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم ألأذن كالعين تؤتي القلب ما كان

فلشاعر يدعي في البيت الأول إن الأذن تعشق الجمال وتدركه ، البيت الثاني نجد خصمه ينتقد هذه الدعوى والإحساس ويصفها بالهذيان .وهنا يلجأ إلى البرهان فيذكر إن الأذن كالعين تماما في معرفة الجمال وإبلاغه للقلب . وقد اعتمد في هذا البرهان على التشبيه ، الذي يفيد اشتراك الطرفين في معنى يجمع بينهما .(٨) ويرتقي الحجاج بمفهوم الإقناع والتأثير من الفهم التقليدي الذي يربطه بنوع معين من النصوص والخطابات لتكون له على وفق هذا المنظور الجديد دلالة أشمل ومعنى أعم لا تتحدد بالمضامين وطبيعة الموقف فقط بل بالأدوات اللغوية المستعملة ،ومن ثم ينبغي ألا ينحصر مثل هذا التحليل الحجاجي في النصوص التي تعد عادة حجاجية مثل النصوص الفلسفية والسياسية والدينية ، بل يجب توسيع الإطار ليشمل كذلك النصوص الأدبية (٩). ومن التأملات الرائعة في إحدى جدليات أبي تمام هي(١٠)

رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

فالشاعر في هذا البيت يصف حملا بصورة سمنته وضعفه معا وهذا تضاد .وحين يصف حملا يرعى في الفيافي يصور سمنته وضعفه معا . فالسمنة نتيجة الرعي ،

والضعف نتيجة الجهد الذي يبذله عند جوب القفار. فكأنما رعته الفيافي بعد ما رعى نبتها . وفي معنى قريب من هذا المضمون ينشدنا المتنبي قائلا : (١١)

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فقد جرت العادة بأن الملوك يقتلون أعداء هم ليسلموا من أذاهم وضررهم .لكن المتنبي في هذا البيت اخترع سببا غريبا وهو أن الباعث له على قتل الأعادي لم يكن إلا لإجابة من يطلب الإحسان .فهو قد فتك بهم لعلمه ،علم اليقين أنه إذا غدا للحرب رجت الذئاب والوحوش الضواري أن يتسع عليها رزقها ، وتنال من لحوم أعدائه القتلى .(١٢)

المطلب الثاني : الجد ل والحوار والمناقشة في أدبيات ألجواهري .

أولا : معنى الجدل لغة واصطلاحا : الجدل بكسر الجيم أو فتحها هو ذكر الرجل ، قال ابن سيده : وأرى جدلا على النسب ، ورأيت جديلة ، أي عزيمة والجدل بفتح أحرفه معناه اللَّدد في الخصومة والقدرة عليها . وقد جادله مجادلة وجدالا . ويقال :

جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته . ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام .(١٣) وجاء في الحديث الشريف(ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا).والمراد بالجدل في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا لإظهار الحق .

وقد وردت لفظة الجدال والمجادلة في القران الكريم ، وسميت إحدى سور القرانبالمجادلة لورود قوله تعالى فيها (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي

إلى الله) ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (ولا جدال في الحج) إي لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه إلى ما ينبغي .(١٤)

قال ابن سيده : المجدل الجماعة من الناس ، لأن الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا . وأنشد العجاج قائلا :(١٥)

فانفضَ بالسير ولا تعلل بمجدل ونعم رأس المجدل

والجدل :طريقة في المنافسة والاستدلال ، صورها الفلاسفة بصور مختلفة ،وهو عند مناطقة المسلمين قياس مؤلف من مشهورات أو مسلمات ، والجدليون : من اشتهروا بالجدل ، كالسفسطائيين بين اليونان . والمعتزلة بين المسلمين.(١٦)
وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الدالة ، وهي الأرض الصلبة .(١٧) . والمجادلة في علم المناظرة ليست لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم وهي تعني المفاوضة والمنازعة والمغالبة بين شخصين أو أكثر(١٨)
ثانيا :أسباب تأثر ألجواهري بأسلوب الجدل والحوار.
اتخذ الجواهري من أسلوب الجدل والحوار منهجا وطريقا يوصله إلى مبتغاه في بيان معاني بعض قصائده ذات الطابع الجدلي . ولم يستطع شاعرنا الولوج إلى إلى هذا المعترك ، والإبداع فيه ، لولا تملكه لأسباب النجاح ، ولملكات ساهمت في بروز قدرته ،ونبوغه الفكري الذي تجسد فيما تركه من تراث أدبي قيم مازال ينبض بالحياة إلى يومنا الحاضر . وأهم تلك الأسباب :
١. الموهبة : كان الجواهري ميالا إلى تذوق ونظم الشعر منذ صغره إذ لديه استعداد نفسي لقول الشعر. (وقديما قيل الديك الفصيح من البيضة يصيح والجواهري شاعر من البيضة يحدد تاريخ شاعريته بنفسه فيقول إنه شاعرمن النطفة....والحال واحدة والقصد هو الموهبة ولا شاعرية كما هو بديهي) (١٩)
٢. ثقافته : نهل الجواهري معارفه الأولى من جو الأسرة التي ترعرع وسطها . فهو قد نشأ في بيت علم كان يعشق علوم الأدب والدين في حاضرة النجف العلمية. إذ إن (بيئتها الجغرافية وتركيبها الاجتماعي ودواوينها الفريدة من نوعها . واتساع أفق المعارف والعلوم فيها ،والتربية والتوجيه الخاص لنشأتها....مكنتها من احتلال الموقع المرموق في عالم الأدب) .(٢٠).وقد أمدته بيئة النجف الدينية ، بالموروثالأصيل من العلوم الشرعية ، فقد حفظ في صغره أجزاءٌ من القران الكريم ، مما ساعده ، ذلك كثيرا في التعرف على الأساليب والمفردات اللغوية الغنية بالمعاني ، والدلالات والصور الفنية . فاستلهم من المفردة القرآنية ، وقدرتها

على الإيحاء ، دافعا غريزيا قويا ، نحو صهرها وتوظيفها في النص الشعري . كما هو الحال فيقوله : كم أنت قاسٍ ... يا بن حو اء مولعة بخصفٍ

فالشاعر أشار في البيت أعلاه إلى قوله تعالى (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) (٢١) لقد أغرق ألجواهري قصائده بالمفردة القرآنية إيمانا منه بأنها مفردات أو ألفاظ، غير مبهمة وليست غريبة على مسامع الأذن واللسان العربيين ، فالأسماع تأنس بها إ ذا ما وظفت في سياقها الصحيح . كما استلهم شاعرنا المبدع من التراث القديم ، الشيء الكثير .إذ إن (بيئة النجف الدينية كانت شديدة الاهتمام بالقديم والاحتفاظ به وإكباره إكبارا شديدا حتى اكتسب هذا القديم قدسية) . (٢٢) أضف إلى ذلك فإن الحافظة الكبيرة التي كان يتمتع بها ألجواهري ، ساعدته على الاغتراف من روافد الثقافة الأدبية التي كان محاطا بها . ويستطيع الدارس لحياة لحياة شاعرنا الملهم أن يستشعر ذلك بوضوح من خلال معارضاته لقصائد الشعراء القدامى . والمعارضة من الفنون الشعرية القديمة التي تأثر بها الجواهري كثيرا لاسيما في الجزء الأول من ديوانه .إذ انبرى للتباري مع نظرائه من الشعراء على اختلاف مستوياتهم وعصورهم، من قدماء ومحدثين ومعاصرين ،من خلال التمثل بألفاظهم وأوزانهم وقوافيهم وحتى مواضيعهم الشعرية ، ومثال ذلك قصيدته (بين النجف وأمريكا) التي عارض فيها قصيدة إيليا أبو ماضي المسماة (بلاء أم نعمة)

التي قال فيها :(٢٣)

أحب معانقة النرجــس لعينيك يا ابنة كولمبس

وأهوى الشقيق ولثم العقيق لخدك والثغر الألعس

فبعد أن تغزل أبو ماضي ب(أمريكا) وهي مهجره الذي عاش فيه ،يأتي شاعرنا للتباري معه إذ ينشد قائلا :(٢٤)

أأمريك يا بنت كولمبـس لحبك وقع على الأنفس

صبوت أليك وأين الفرات وأهلوه من بحرك الأطلس

حننا ولو كان في وسعنـ سعينا إليك على الأرؤس

والجواهري اقتفى في أبياته المنوال ذاته في المقابلة في البحر الشعري الذي بنى عليها أبو ماضي قصيدته ،وهي من البحر المتقارب . فضلا عن القافية التي حرصالجواهري على الإتيان بها مبنية على الحروف نفسها وهي قافية السين . ناهيك توحد الموضوع في الشوق إلى تلك المدينة ، وذكر أماكنها وأيامه فيها ، على الرغم من أن الشاعر لم يزرها في المدة التي قال فيها قصيدته عام ١٩٢١لذا جاءت قصيده استيحاءٌ من قصيدة إيليا أبو ماضي ، لتبرز شدة التقليد التي يبعثها النص الشعري ، فضلا عن الفجوات التي تتخللها من تعدد الصور والانتقال فيها من موضع إلى آخر ليظهر للمتلقي مقدار، ما بذله الشاعر من جهد ، في الإتيان بالألفاظ المناسبة للوزن والقافية للقصيدة المعارضة ، وكأن ألجواهري يعيد ترتيب لغته ، وأفكاره ومعانيه على وفق هذه القصيدة ومناسبتها .(٢٥)

ونلاحظ إن شاعرنا الكبير اتخذ من أسلوب المعارضة طريقا للتفوق على غيره الشعراء ،على الرغم من نقده لهم .ويميل إلى هذا الرأي الدكتور إحسان عباس بقوله (ولأول مرة نرى ناقدا يقر مبدأ المعارضة معيارا للتفوق)(٢٦)ولم يسير في هذا الطريق إلا كبار الشعراء أمثال أحمد شوقي في قصيدته (على سفح الأهرام) ومطلعها(٢٧) :

قف ناج أهرام الجلال ناد هل من بناتك مجلس أو ناد

فقام الجواهري بمعارضة لها بقصيدته المسماة (أمين الريحاني) منشدا: (٢٨)

لمن المحافل جمّة الوفَاد جل المقام بها عن الإنشاد

من زان صدر المجلس الأعلى وقد طفح الجلال بحيث فاض النادي

من صاحب السمة التي دلت على أدب الحضارة في جمال الوادي

لقد جاءت مناسبة القصيدتين واحدة وهي زيارة (أمين الخولي) لكل من مصر والعراق ، فالتقى به الجواهري في النجف الأشرف مؤثرا معارضته لقصيدة أحمد شوقي إبرازا لمقدرته الأدبية ، وتمكنه من النظم في ذات الوزن والقافية وهو البحر

الكامل وقافية الدال . كما عمد شاعرنا إلى المقابلة ما بين ألفاظ الترحيب والتهليل بالشاعر الضيف ، وتكرارا لجواهري للمفردات المستخدمة نفسها، ولكن بتوظيفها يصور مختلفة .وربما تكون المعارضة بالمثل حيث (تكون المعارضة بالمثل بأن يعمد السائل إلى دليل المعلل المدعي ويحافظ على صورته ، فيجري فيها دليله المعارض ، بحيث يكون الدليلان متوافقين في الصورة مختلفين في المضمون) . (٢٩) ولم تتأتى معارضته إلا من خلال قراءاته واطلاعه وحفظه لدواوين الشعراء .فهو القائل (لقد حفظت ديوان المتنبي رغم إنه لم يجمع إلا مرة واحدة ما يقارب الثلاثة آلاف بيت ، وديوان أبي تمام يقترب من هذا أيضا . كذلك البحتري ، وأظنني ، تجاوزت حفظا نحو عشرين ألف بيت ، فمثلا ديوان أبي نؤاس، حفظت منه، ما يقارب مائة قطعة ، كذلك ابن الرومي والكميت ومهيار الديلمي).(٣٠)

المبحث الثاني :تحليل قصائد الجدل عند الجواهري وأراء النقاد فيها.

المطلب الأول : قصائد الجدل وقيمتها التحليلية .

عمد ألجواهري إلى أسلوب الجدل والخطاب والمحاورة في أغلب قصائده الحماسية الثورية ، وصولا إلى تهيئة أجواء نضالية للشباب عند توجيهه خطابه الشعري لهم قال الشاعر: "(٣١)

إيه شباب الرافدين ومن بهم يرجو العراق تبلج الأسحار
الحاملين من الفوادح ثقلها ليسوا بأنكاس ولا أغمار
الباذلين عن الكرامة أرخصت أغلى المهور وأفرح الأسحار

فالشاعر تعامل بذكاء مع شباب وطنه عبر تعداد مآثرهم ، وتبيان مكانتهم العظيمة في عملية التحرير والاستقلال . ولم تكن غايته في ذلك فردية ، بل غاية جماعية ، تعمل على شحذ الهمم وتوجيه الطاقات نحو العدو، وهو في ذلك يسلك سبلا متعددة للتعبير عن ثوريته ومعارضته للظالمين . فتارة نراه يهجو ، وأخرى يشكو ويشتم بقلب موجع عبر جدال استطاع أن يستوعب جميع انفعالاته الثائرة .فيقول مصرحا:

قبل أن تبكي النبوغ المضاعا سب من جر هذه الأوضاعا
سب من شاء أن تعيش فلول حيث أهل البلاد تقضي جياعا(٣٢)

إن دافع ألجواهري للثورة نابع من خلجات روحية ترجمها في ألفاظ إيحائية متناغمة ولاسيما انضباط لغة الشـــعر تعني الحد الأقـــصى من قوة التعبير. يقول شاعرنا :(٣٣)

مزقوا ما استطعتم من جلود...ورقعوا
هل سوى إن أعين بدم القلب تدمع
وقلوبا نيا طها حشرجات تقطع
وعراة على الدرب حيارى تجمع

لقد تدخلت الأحداث والظروف الصعبة التي عاشها الشاعر مع جميع العراقيين، في تطور فكره ووعيه، مما انعكس ذلك إيجابا على نتاجه الشعري ونظرته إلى مجمل قضايا عصره بروية وحنكة فتبلورت في ذهنه رؤية جديدة قادرة على استيعاب جملة من المفاهيم الجديدة المنفتحة (على المعطيات المتجددة للقصيدة العربية المعاصرة ، التي اغتنت تكتيكا خلال تجربة الشاعر في السنوات الأخيرة)(٣٤) كما اتسمت غلبة روح الجدل والمنطق على الفكرة القومية لدى الشاعر ألجواهري نظرا لاتسامها بطابع التحدي في بعض الأحيان (٣٥) .

ويلاحظ على بعض قصائده كثرة توالي الاستفهام المتنوع الذي يؤكد شدة رفض الشاعر للواقع المزري الذي كان يمر به الشعب العربي عموما والعراق تحديدا .وهذا الأسلوب الخطابي قد ركز عليه ألجواهري في قصيدته (ألقت مراسيها الخطوب) التي نظمت عام ١٩٤٥م وألقيت بعد انتهت الحرب العالمية الثانية . ومنها قوله (٣٦)

وضمائر الأجداث تشـ كو ما جنى البشر العجيب
للوحش مأدبة عليـ ها ما يلذ وما يطيب
وكواسر العقبان يزهيـ ها من الجثث النصيب

ماذا تريد : حواصل ملأى ومنقار خضيب
والدود يسأل مقلة تدمى وجمجمه تخوب
هذي المطاعم :أي طا هـ شاءها ؟ أهي الحروب

فالاستفهام هنا قد خرج للإنكار جعل من أجساد البشر مأدبة للوحوش والكواسر و والدود .وقد مثله إنكسارالانسان وانحداره (وتبلغ الصورة أشد مدياتها قتامة وألما حينما تصبح (مقل الناس) و(عظامهم) ، (جماجمهم) بمتناول الدود ، وهو أضعف أنها كمخلوقات الكون . إن تصوير الحرب بمطعم يستطاب به الطعام دليل على بشاعتها . وهي صورة مؤثرة ومحفزة للشعور الإنساني السليم ضد الحروب وهذا هوهدف الصورة ومقصدها .(٣٧)

ومن المضامين الشعرية المتصلة بموضوع الجدل والحوار عند الشاعر ،هو لجوءه إلى عنصر الشكوى كعنصر من عناصر تفجر القصيدة لديه ، منطلقا للبحث عن ، تغيير ما آلت إليه الأوضاع من تدهور وهوان وذلة . يقول الشاعر:(٣٨)

حماة الدار مس الدار ضر ونادى بافتقادكم المنادي
أرادتكم لتكفوها فلولا معززة كأرتال الجراد

المطلب الثاني : أقوال النقاد في قصائد ألجواهري.

لما كان الجواهري شاعرا فحلا من فحول القصيدة العربية العاصرة ، فمن الطبيعي أن تتوجه أقلام إليه النقاد ،بعد أن مزج شاعرنا بألوان مختلفة بين القديم والجديد وهو ما أكده الدكتور إبراهيم السامرائي بقوله :حرص ألجواهري على القديم حرصا خاصا فهو يعرف كيف يأخذ من الأدب القديم شيئا يضفي عليه حاجات العصر لونا جديدا وقد وصف الأديب المصري صلاح عبد الصبور ألجواهري بأنه (يمثل المرحلة الذهبية في الشعر العمودي)(٣٩) ١٣ إن سمة الممازجة بين القديم والجديد عند ألجواهري نابعة من تأثره بشعراء العصر العباسي أمثال المتنبي وأبي العلاء المعري والبحتري . فعمد إلى التمسك بالموروث العربي الأدبي العام والديني على وجه التحديد . وفي هذا الصدد يقول

الأديب الراحل الدكتور علي عباس علوان (إن الشاعر قد كسب في هذه الرحلة لحرفية الفن طرائق النغم الكلاسيكي وموسيقاه الشعرية . ومجموعة من الصور الجاهزة تتغلغل في مخيلته وتخزن للمستقبل ، ثم تندمج إدماجا تاما في الذوق الفني العربي القديم ،ليكتب مع الأيام قدرة على تلمس هذا الجديد الذي يتطلبه) . (٤٠) إن المعاني والألفاظ تعبر عن حالة الشاعر النفسية ، وبيان عمق التجربة الفنية التي جسدها في عملية الخلق والإبداع ، والمواء مة بين التراث والأصالة من جهة ، وبين الحداثة والسريالية من أخرى وهو ما ذكره الشاعر المعاصر له ،عبد الوهاب البياتي الذي عد ألجواهري بأنه فاتحة الشعراء العموديين .(٤١)

وبالرغم من عمودية قصيدة ألجواهري إلا إننا نرى في شعره فصلا عن الصور التراثية ، والآثار الرومانتيكية والسريالية، فإن القصيدة الواحدة لديه تستوعب هذا الموروث الأدبي لديه بمضامينه، فهو الذي يقـول في قصيدته (آمنت بالحسين)(٤٢)

فداء لمثواك من مضجع تنور بالأبلج الأروع
بأعبق من نفحات الجنـ ـان روحا ومن مسكها أضوع
فيا أيها الوتر في الخالديـ ـن فذا إلى الآن لم يشفع
ويا عظة الطامحين العظام للاهين عن غدهم منع
تعاليت من مفزع للحتوف وبورك قبرك من مفزع

ويرى الدكتور عناد غزوان أن قصيدة ألجواهري لم تجد أمامها حدودا وأوضاعا مرسومة يملؤها بألفاظه ، ولا يضغط فكره على خياله لينتج أشعارا ضعيفة ، مع إيمانه المطلق بأن القواعد في الفن لا يعني الاستبعاد فالجواهري قد رفض كل القيم الملتبسة الزائفة الباعثة على الاستكانة في مجتمع تتجاذبه وتتداخل فيه حد التشابك من جهة تجاذبه للحضارة من الجهة الثانية)(٤٣) إن القارئ لسيرة التراث يجده في حراك مستمر ،وتفاعل مع الأحداث وتواصل مع الحياة فهو ليس مجموعة من المعارف فحسب ،وإنما هو مجموعة من المواقف ، بوصفه حركة مستمرة تساهم في

تطوير التاريخ وتغييره وكل تراث لايؤكد حضوره لا يعد أصيلا ، بل لابد من النظر إليه في بنيته التاريخية وبعد ذلك نخضعه لأدواتنا المعرفية المعاصرة ولمواقفنا الايدولوجية (٤٤) وبناء على ما تقدم يتساءل النقاد ، هل استطاع ألجواهري توظيف التراث المفعم بصور المعارضة في شعر الأزمة ؟ لقد استوحى ألجواهري من التراث القديم وحياة الإنسان ، بوادر الوعي بالأزمة فنيا وفكريا ، وقد جسد ذلك في قصيدته الرمزية (على قارعة الطريق) إذ جاء فيها :

أأنت مسافر مثلي؟ ....لا .... بل أنا شديد .

وأين وجهتك ..... وجهتي أن أضع الشمس على جبيني وأغذ السير حتى إذا جنني الظلام في الليل .... وسرت عند طلوع الفجر(٤٥)

ومن أسباب الوعي للأزمة التي عايشها ألجواهري للواقع ، معرفته بسياسة الحكام الجائرين وبالتحديد خلال مدة وجوده في البلاد . وهو ما جسده في شعره السياسي والاجتماعي الذي بقي في ذاكرة الأمة .يقول الشاعر:(٤٦)

الشعر أصبح وهو لعبة لاعب إن لم يسل ضمنا وجمرا لاهينا

ومن خلال جدلية الواقع الذي سايره ألجواهري بكافة ألامه وماسيه أصبح التمرد سمة لازمة لأشعاره . يقول الأديب اللبناني جبرا إبراهيم جبرا(تجربة ألجواهري تبقى تجربة المتمرد الذي لابد له مما يتمرد عليه باستمرار. فإذا تحقق ما يصبواليه فإنه يتم يتمرد من جديد لأنه لا يستطيع الانصياع حتى لما يستطيع استكمالا لمثاليته المطلقة(تمرد متواصل) من خلال جدلية الواقع . (٤٧)

الخاتمة .

توصل الباحث إلى جملة نتائج أوردها بما هو آت :

١. لقد جسد الشاعر ألجواهري بمصداقية واقعية تأريخ بلده العراق في عهد تسلط فيه الحاكم الظالم على رقاب شعبه فأذاقهم الويلات الصعاب ،من خلال قصائد مرهفة الأحاسيس ، ومشاعر تنبض بحب العراق .

٢. مزج الشاعر في قصائده بين ألفاظ الشعر القديم والحديث معا ، معتمدا على

ذاكرته الحافظة ، وهو بذلك جعل نفسه جسرا بين عهدين متباعدين زمنيا لاكنهما مجسدين متقاربين على أرض الواقع الحي .

٣. لم يكن إبداع ألجواهري في مسارات الجدل والمعارضة متأتيا من فراغ ، بل جاء بسبب شأنه وتربيته في بيئة تعشق العلم والأدب وتتسم بالشجاعة ،وتتفاخر بحبها لقيم الفضيلة والمروءة والشهامة . فكان من المعارضين للنظام ألصدامي الذي عاث في الأرض فسادا وظلما .

٤. استوحى ألجواهري من أسلوب الجدال مقارعة لكبار الشعراء أمثال أحمد شوقي متخذا من التفوق هدفا يرنو إليه بشوق واقتدار ،لأنه يرى في نفسه كبرياء لاحدود لها ، وطموحا مشروعا يقارع به جهابذة الشعر والأدب عامة . ٥. ركز الشاعر على أسلوب الاستفهام له من قوة جذب وشد للمتلقي .حيث يربط بين ما يجول في فكره عبر تساؤلات يطرحها ، تنتظر منه معرفة الجواب فيبقى المتلقي على الدوام إلى القصيدة وهو ما يهدف إليه الشاعر .

الهوامش

١. في البلاغة المعاصرة .د. محمد سالم الأمين . ص٣٢
٢. تلخيص الخطابة . ابن رشد ص٤.٣
٣. الخطابة . أرسطو . ص٣٠
٤. الحجاج في البلاغة المعاصرة .ص٤٤
٥. الحجاج عند أرسطو . هشام الريفي . ص٢٠٧
٦. الحجاج في البلاغة المعاصرة .ص٤٢
٧. مجلة عالم الفكر .ص٧٧ .
٨. المصدر السابق
٩. المصدر السابق
١٠ديوان أبي تمام للتبريز ي . ١٨٧/٣
١١. مسارات الجدل في قصيدتي (المحرقة ولغة الشباب) .د. صدام فهد ألأسدي .ص٢
١٢. مجلة عالم الفكر .ص٧٧
١٣. لسان العرب . ابن منظور . ٢١٢/٢١

١٤. المصدر السابق. ٢١/٢١٢.٢١٣
١٥. المصدر السابق
١٦. المعجم الوجيز . د. إبراهيم مدكور . ص٩٥ . ٩٦
١٧. في غريب القران .الراغب الأصفهاني . ٩٧/١
١٨. معجم الجيم محمد فريد عبد الله .ص١٦٥
١٩. ألجواهري في جامعة الموصل .جمع وتحقيق عبد الرضا علي وسعيد جاسم الزبيدي . ١٤
٢٠. النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها . طالب علي الشرقي . ص١٣
٢١. سورة الأعراف . ٢٢
٢٢. النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها . ص١٣
٢٣. ديوان إيليا أبو ماضي . زهير ميرزا .ص ٤٦٣
٢٤. ديوان ألجواهري .د. إبراهيم السامرائي وآخرون . ١٣٥/١
٢٥. شعر ألجواهري . دراسة موضوعية وفنية . أناهيد ناجي فيصل الشويلي . ص٤٨
٢٦. تأريخ النقد الأدبي عند العرب .د . إحسان عباس . ص٤٧٧
٢٧. الشوقيات . أحمد شوقي ١١٢/١
٢٨. ديوان ألجواهري . ١/ ١٦٩
٢٩. الحجاج والمغالطة . رشيد الراضي . ص١٠١
٣٠. ألجواهري جدل الشعر والحياة .ص٤ ١٨
٣١. ديوان ألجواهري . ١ / ١٤٥
٣٢. المصدر السابق . ١٧٠/٣
٣٣. المصدر السابق . ١٢٨/٤
٣٤. معالم جديدة في أدبنا المعاصر. فاضل ثامر . ص٢٠٦
٣٥.الإتجاه القومي في الشعر العربي الحديث . د. عمر الدقاق . ص٢٠٦
٣٦. ديوان ألجواهري . ١١٦/٣
٣٧. أسلوب الاستفهام في شعر ألجواهري . محمود كاظم موات . ص٣٥
٣٨. ديوان ألجواهري . ٣١٩/٣
٣٩. ألجواهري جدل الشعر والحياة . ١٠١
٤٠. تطور الشعر العربي الحديث في العراق . ص٢٧

٤١. ألجواهري جدل الشعر والحياة . ص١٠١

٤٢. ديوان ألجواهري . ٢٢٣/٣

٤٣. الشكل والمضمون في الشعر العربي المعاصر . د. عناد غزوان .ص ٢٣

٤٤. النزعات المادية والفلسفية والإسلامية . حسين مروة . ٢٣/٢

٤٥. ديوان ألجواهري . ١٠١/١

٤٦. المصدر السابق .٢٧٦/١٠

٤٧. المفردة حياة حافلة وليست حروفا . محمد مهدي ألجواهري .مقال منشور في مجلة الأديب العراقي ع١ ، ص١٦٥ .

المصادر

أولا : الكتب. وتقسم إلى :

. الدواوين :

١. ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي .تحقيق محمد عبده عزام . دار المعارف .القاهرة١٩٦٥

٢. ديوان ألجواهري . جمع وتحقيق إبراهيم السامرائي وآخرون .نشر وزارة الثقافة .بغداد (ب.ت) الصحاح

. المعاجم .

١. الصحاح في اللغة.أبو نصر إسماعيل بن حماد ألجواهري ..دار العلم للملايين ،ط٤،بيروت١٩٨٩ م

٢. معجم الجيم . د. محمد فريد عبد الله . دار ومكتبة الهلال ودار البحار، بيروت

٣. المعجم الوجيز. د . إبراهيم مدكور ، منشورات در الثقافة ، قم ، ايران

٤. المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى وآخرون ، المكتبة العلمية ، طهران .

٥. المفردات في غريب القران .الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد . دار القلم والدار الشامية ، بيروت . ١٤٣٤هـ

٦. معجم لسان العرب . أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور .دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت .(ب ت)

. الكتب :

١. الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث . عمر الدقاق . منشورات جامعة حلب . ط٤

٢. ألجواهري جدل الشعر والحياة . عبد الحسين شعبان . دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ط١

بيروت ، لبنان .(ب ت)
٣. الحجاج عند أرسطو . هشام الريفي ، بحث منشور في كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم) بإشراف حمادي صمور، الصادر من كلية الآداب في جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية في مدينة منوبة التونسية
٤الحجاج في البلاغة المعاصرة . د. محمد سالم محمد الأمين . دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ،(ب ت)
٥. الحجاج والمغالطة .رشيد الراضي . دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان(ب ت)
٦ . الخطابة . أرسطو . ترجمة عبد الرحمن بدوي . دار الشؤون الثقافية . بغداد (ب ت)
٧. الشوقيات . أحمد شوقي . دار الكتاب ، بيروت ، لبنان . (ب ت)
٨. النزعات المادية والفلسفية والإسلامية . حسين مروة .دار الفارابي ، بيروت . ١٩٨١م
٩. تاريخ النقد الأدبي عند العرب .د. إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت (ب ت)
١٠. تطور الشعر العربي الحديث في العراق .منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية سلسلة الكتب الحديثة . بغداد .١٩٧
١١. معالم جديدة في أدبنا المعاصر . فاضل ثامر . منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية سلسلة الكتب الحديثة . بغداد . ١٩٧٥

ثانيا : الرسائل الجامعية .

١. أسلوب الاستفهام في شعر ألجواهري . دراسة بلاغية ونحوية وإيقاعية . محمود كاظم موات . جامعة البصرة ، كلية التربية .
٢ . شعر ألجواهري . دراسة موضوعية وفنية . أناهيد ناجي فيصل الشويلي . جامعة البصرة ، كلية التربية

ثالثا : الدوريات .

١. مجلة عالم الفكر . تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت . ٢٠١١
٢ . مجلة الأديب العراقي . العدد الأول ، بغداد ١٩٦٢م .